نشأة التفسير
في الكتب المقدسة والقرآن

تأليف
الدكتور السيد أحمد خليل
مدرس بكلية الآداب
جامعة الاسكندرية

الطبعة الأولى
١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

الناشر
الوكالة الشرقية للثقافة بالاسكندرية
٤٥ شارع النبي دانيال

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi
Prof. Dr. Nihad M. ÇETİN Bölümü

نشأة التفسير

في الكتب المقدسة والقرآن

تأليف

الدكتور السيد أحمد خليل

مدرس بكلية الآداب
جامعة الاسكندرية

الطبعة الأولى

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

الناشر
الوكالة الشرقية للثقافة بالاسكندرية
٤٥ شارع النبي دانيال

مقدمة

لا ريب فى أن رغبة الباحث فى الموضوع الذى يتصدى له هو الدعامة الأولى لنجاحه والانتهاء من بحثه الى نتائج لها أثرها فى حياة البحث العلمى ولقد أغرمت بهذا البحث منذ سنين حاولت أثناءها أن أنشر منه فصولا فى بعض المجلات العلمية ولكن كان يثبطنى أن هذه المجلات جميعاً تغلب عليها النزعة الأدبية السطحية التى لا تعنى بمثل هذه الابحاث التى هى بعيدة عن المستوى العام للعقل القارىء .

وقد ظللت أبحث هذا الموضوع أربع سنين(١) بذلت فيها من الجهد الشاق والعمل المتواصل والبحث الدائب ما لا أستطيع وصفه فى هذه المقدمة كما لقيت فيه من المصاعب ما يرجع بعضه الى ظروف الحياة نفسها من دفن المخطوطات فى المغارات والكهوف وبعضه الى ان ما كتب عن الجزء الخاص بالتفسير فى الكتب المقدسة السابقة على القرآن عند الغربيين قليل كما أنه خاضع لما يهدى اليه البحث العلمى عن آثار هؤلاء القوم من المعرفة المتجددة المضطربة بهذه الآثار . على أن الموضوع بعامة لم يتناول الكلام فيه أحد من رجال العربية وكل ما ظفرت به لا يعدو لفتات يدلون بها فى مقدمات

(١) هذا البحث اعد منذ سنة ١٩٤٦ وبقى محفوظا حتى خرج الى المطبعة دون ان يناله تعديل .

أعمالهم التفسيرية وهى تعتمد على المرويات الكثيرة التى لا يعززها سند صحيح غالبا .

وفى الحق أن درس هذا الموضوع درساً علميا قد يكون له أثره فى حياة البحث فى تفسير القرآن فان الدارسين للثقافة الاسلامية حاولوا تأريخها وتعرف ما دخل عليها من آثار أجنبية وربطوها بما وصل اليه العالم قبلهم من ثقافات فكانت لهم محاولات نافعة وممتعة ولكن لم يتجه واحد منهم الى دراسة التفسير وكيف كان فى الكتب السابقة وما هى أصوله عند أصحابها ومناهجهم فيه . واذا كان علماء الأديان قد قاموا بكثير من الابحاث القيمة عن تطور الأديان وتأثر بعضها ببعض وألموا فى هذا العدد ببعض المقارنات التى دلت على هذا التأثر فانا فى أشد الحاجة الى مواصلة البحث فى تفسير الكتب التى تمثل هذه الأديان بما يحقق دراسة تاريخية منظمة لمناهج هذا التفسير تصل بنا إلى تعرف الآثار التى تركتها فى مناهج التفسير القرآنى ثم تعرف الأصول العامة المشتركة بين هذه المناهج جميعاً .

وقد استطعت فى هذا البحث أن أظفر ببعض هذه النتائج التى أطمع فى مواصلة البحث عنها بعد ذلك منها أن البحث فى تفسير الكتب السابقة يعمد على أصلين بأولهما الآثار المنقولة وثانيهما محاولة الفهم بهذه وبما يتوفر للمرء من ثقافات أخرى . بل أن ظاهرة التأويل التى فشت فى تفسير الكتب الدينية السابقة قد ظهرت أيضاً فى تفسير القرآن وبخاصة بعد ما ذهب التحرج الدينى الذى كان يغمر المسلمين فى فجر حياتهم حتى أن الظاهرية لم يجرؤ أحدهم على تفسير القرآن لغلبة التأويل على مناهجه .

وإذا عرفنا أن الأماكن التى تمت فيها الاتجاهات الأولى فى تفسير الكتاب المقدس هى الأماكن التى استعمرها المسلمون فيما بعد وتأثروا

بثقافات أهلها أدركنا قيمة هذا الدرس المقارن فى تحقيق الأصول الاولى التى يقوم عليها تفسير القرآن عند الفرق الإسلامية المختلفة فان فيلو Philo صاحب النظرية الرمزية فى تفسير الكتاب المقدس اسكندرى وكذلك نومنيوس الذى غلا فى اتباع هذه النظرية الى الحد الذى رأيناه عنده من تأويل الأسماء والأعلام نفسها بل أن أوريجين Oregin صاحب النظرية التى سنعرض لها فى تفسير الكتاب المقدس اسكندرى وكذلك سابقه اكليمانس Clement اسكندرى .

ولقد كانت الاسكندرية احدى المنافذ التى دخلت منها الثقافة اليونانية على الإسلام بل لقد تأثر التصوف الإسلامى فى كثير من أبحاثه ببعض الكتابات الدينية التى خلفها قدماء المصريين على البرابى وحيطان المعابد مما لا يزال موضع الدرس والبحث حتى اليوم .

وكما رأينا نوعا من التدرج فى الأصول الدينية التى دعت اليها هذه الكتب على اختلافها فانا سوف نرى لوناً آخر من هذا التدرج فيما يتعلق بتفسير هذه الكتب . ففى الوقت الذى نسمع فيه أن من أصحاب النظريات فى تفسير الكتاب المقدس من يقول بوجوب فهم أربع معان لكل شرائع موسى نجد فيمن يخلفه من يقول أنه يصح أن يفهم للكتاب معنى أو أكثر وسيظهر ذلك بوضوح فيما يأتى. ونجد مثل هذا فى القرآن فنرى أن من المسلمين من يقول بالظاهر والباطن والحد والمطلع بل ويحاول هؤلاء من جانبهم أن يعززوه بالسند الى الرسول نفسه فيروون عنه « ما من آية إلا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع » مما يؤيد أن الحياة الدينية تسير على نواميس واحدة تنجم عنها ظواهر متشابهة .

ولقد أدرت البحث فى هذا الموضوع على الخطوط الاتية :

التفسير — معناه وميادينه المختلفة — حياته فى غير العربية — خطواته الكبرى ومناهجه — التفسير فى العربية — ميادينه المختلفة — تخصيص التفسير الدينى للبحث — التفسير الدينى — الحاجة اليه — نشأته — زمنها ووصفها — مقارنتها بالتفسير غير الإسلامى — تدرجه — خطوات التدرج خطوة خطوة — بيانها — وصفها — الآثار التى خلفت فيها — مقارنتها بما يشبهها فى التفسير غير الإسلامى ووصف ما يظهر من اختلاف واتفاق .

النـــص (TEXT)

تساوى كلمة نص فى العربية كلمة Text فى اللغات الأوروبية ، وأصل هذه الكلمة مأخوذ من اللاتينية وفعلها فيها Texte (١) ومعناه ينسج أو يؤلف أو يبنى ثم اشتق من الفعل الاسم Textum ومعناه مجموع الكلام ، ثم أخذت هذه اللفظة تتدرج فى الاستعمال حتى أصبحت تدل على مجموع خاص من الكلام عندهم ، فقالوا أنها اصطلاح أو تعبير(٢) يطلق على جملة من المعانى المرتبطة بالكلمات الدالة عليها كما كتبت أولا . وهى بذلك تدل على العمل العقلى أو الأدبى المعبر عنه بألفاظ لم ينلها شىء من التغيير أو التبديل فى مادتها ، وصورتها ، والتى تتطلب تفسيرا أو بيانا يلائم دلالتها التاريخية ثم أنشأت تدل على القطعة من الكتاب المقدس التى يستدل بها فى المناقشات الدينية والحجاج الفقهى ، وبجانب أنها أصابت من التدرج هذه القدر — فى هذه الناحية اذا بها أصبحت اصطلاحا تاريخياً يدل على طريقة خاصة لكتابة المخطوطات قبل ابتداع الطباعة فهناك كتب للنصوص وكاتب لها ، وتعود اللغات الأوربية الحديثة فتطلق كلمة Text-book على كل كتاب له قيمة علمية وأدبية فى فروع المعرفة الانسانية المختلفة ،

فقد رأينا إذن أن ارتباط الألفاظ بالمعانى — فى تقدير الثقة بالنص وتقويمه تاريخيا — أصل فى مدلول كلمة نص فى اللغات الاوربية ،

وإذا ما عدنا الى اللغة العربية لنلحظ فى معاجمها نشأة هذه الكلمة وتدرجها أصبنا من ذلك قدراً يلتقى بهذا التدرج الذى أشرنا اليه فى اللغات الأوربية من حيث اعتبار الثقة فى النص والاطمئنان اليها اطمئنانا مشروطا ،

(١) مادة Dictionnaire Latin-Français Texte

(٢) مادة Encyclopaedia Britannica Text